

العنوان:	الفكر التربوي عند الإمام ابن حزم الأندلسي
المؤلف الرئيسي:	الزين، لبنى إبراهيم مصطفى
مؤلفين آخرين:	التل، وائل عبدالرحمن(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2001
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 150
رقم MD:	562516
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية التربية
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	الفكر التربوي ، ابن حزم، عبد الله بن أبي بكر بن محمد ، ت 135 هـ، الأحوال السياسية ، الأندلس، الإنتاج الفكري
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/562516">http://search.mandumah.com/Record/562516</a>

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

أسلوب APA

الزين، لبنى إبراهيم مصطفى، و التل، وائل عبدالرحمن. (2001). الفكر التربوي عند الإمام ابن حزم الأندلسي (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/562516>

أسلوب MLA

الزين، لبنى إبراهيم مصطفى، و وائل عبدالرحمن التل. "الفكر التربوي عند الإمام ابن حزم الأندلسي" رسالة ماجستير. جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، 2001. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/562516>

## **الفصل الثاني**

### **الإطار النظري للدراسة**

## الفصل الثاني

### الإطار النظري للدراسة

#### المبحث الأول

#### حالة الأندلس في القرن الخامس الهجري

##### المطلب الأول : الأندلس وموقعها الجغرافي :

الأندلس اسم أطلقه المسلمون على شبه جزيرة إيبيريا، تعريباً لكلمة فندالشيا التي كانت تطلق على الإقليم الروماني، وكان نصارى إسبانية الشمالية يطلقون على هذا الإقليم اسم إشبانية، نسبة إلى مدينة إشبيلية التي كانت تعرف في العصر الروماني باسم إشباليش، وكان العرب يطلقون أول الأمر اسم الأندلس على الإقليم الجنوبي بالذات ثم أطلقوه على شبه الجزيرة كلها<sup>(١)</sup>.

وتتصف الأندلس بديانها المخضرة الغنية، وشموخ قممها الجرداء في أقصى الجانب الغربي من العالم الإسلامي، وقد وجب عليها بصورة طبيعية أن تتسم أكثر من بلاد المغرب بدءاً من الزمن الذي ضمها العرب فيه إلى ممتلكاتهم<sup>(٢)</sup>. وقد خصها الله من الري، وغرق السقيان، ولذاذة الأقوات، وضراعة الحيوان، وجودة اللباس، وابهضاض ألوان الإنسان، ونبل الأذهان، وقبول الضائع، وشهامة الطباع، ونفاذ الإدراك<sup>(٣)</sup>. ومنذ أن غارت عليها قبائل الفندال في القرن الخامس الميلادي أطلق على هذه البلاد اسم (فاندلوسيا) أي بلد الفندال. وسميها العرب بلاد الأندلس، كما يطلقون اسم الجزيرة، لأنها تدخل في البحر في جميع جهاتها، إلا جهة الشمال<sup>(٤)</sup>.

---

(١) سالم، سيد عبدالعزيز : تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، د.ط، الإسكندرية : الناشر مؤسسة شباب الجامعة للنشر، ١٩٨٥م، ص ٥ (وسيشار إليه فيما بعد هكنا : سالم : تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس).

(٢) بروفتال، ليفي : حضارة العرب في الأندلس، د.ط، بيروت : الناشر دار مكتبة الحياة، د.ت، ص ٣٥ (وسيشار إليه فيما بعد هكنا : بروفتال : حضارة العرب في الأندلس).

(٣) ابن الخطيب، محمد بن عبدالله السمانى : تاريخ إسبانيا الإسلامية، تحقيق ليفي بروفتال، د.ط، د.ب، الناشر دار المكشوف، د.ت، ص ٤ (وسيشار إليه فيما بعد هكنا : ابن الخطيب : تاريخ إسبانيا).

(٤) أبو النصر، عمر : الأيام الأخيرة للدولة الأموية، د.ط، بيروت : الناشر المكتبة الأهلية، ١٩١٢م، ص ٢٦٤ (وسيشار إليه فيما بعد هكنا : أبو النصر : الأيام الأخيرة للدولة الأموية).

تواجه الأندلس من على البحر أرض المغرب وتونس، وتتصل الأندلس في البر الأصغر من جهة صقلية، وهي جهة الشمال، ويحيط بها الخليج المذكور من بعض مغربها وجنوبها، والبحر المحيط من بعض شمالها وشرقها<sup>(١)</sup>.

والأندلس جزيرة ذات ثلاثة أركان مثل شكل المثلث، وهي إحدى الممالك الثلاثة التي للروم، ومسيرة كل مملكة منها شهر، وهي مملكة قسطنطينية، ومملكة رومية، ومملكة الأندلس، وهذه الممالك الثلاثة متصلة، وما سوى الأندلس من شمال المغرب يعرف بالأرض الكبيرة<sup>(٢)</sup>. ويحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث وجنوبها يحيط به البحر الشامي، وغربها يحيط به البحر المظلم، وشمالها يحيط به بحر الأنجليش من الروم، وطولها ألف ميل ومائة وعرضها ستمائة ميل<sup>(٣)</sup>. وأكبر أغوارها وادي الكبير، وجبالها سيرانيفادا في الجنوب، وسيرا مورينا في الشمال، وهواؤها معتدل، وترتبتها خصبة، وأراضي السهول منها مستوية، ونباتاتها جامعة بين أفريقيا وأوربا، وأرضها زاخرة بمختلف الخيرات والثروات، وأهلها لفيف من أعم شتى، وهم متناسون من الفينيقيين وأهالي قرطاجنة والرومان والقنطيط والغندالة والعرب. ولكل هذه الأمم حظها الوافر من تاريخ تلك البلاد، وعلى الخصوص فإنه لا يزال في الأندلسيين كثير من صفاتهم الطبيعية<sup>(٤)</sup>.

### المطلب الثاني : الحالة السياسية في الأندلس :

كانت الاضطرابات التي سادت الأندلس قد ساعدت على قيام الإمارة الأموية، وقد استمرت هذه الاضطرابات فكانت سبب كل هزيمة مني بها المسلمون، وصحبت تاريخ المسلمين بالأندلس من أوله إلى نهايته. لذا فإن الكلام عنها هنا يغني عن تكرار الحديث عنها في كل عصر من عصور الإسلام بالأندلس. وما أن ابن حزم قد عاش بين سنة ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ، وهي الفترة التي سيطر فيها بنو عامر ثم تلاهم عصر الفتنة وبنو جهور وبنو عباد<sup>(٥)</sup>. وقد ولي الأندلس خلالها خمسة خلفاء وقد عاصر هؤلاء الخلفاء في الأندلس

(١) الحموي، بن عبدالله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ) : معجم الأدباء، د. ط، القاهرة : الناشر مطبعة دار المأمون، د. ت، ص ٤٦ (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : الحموي : معجم الأدباء).

(٢) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ) : تقويم البلدان، ط ١، باريس : الناشر دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠ م، ج ١، ص ١٤٦ (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : أبو الفداء : تقويم البلدان).

(٣) أرسلان، شكيب : الحلل السندسية، د. ط، بيروت : الناشر دار مكتبة الحياة، د. ت، ج ١، ص ٣٢ (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : أرسلان : الحلل السندسية).

(٤) سالم : تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٥.

(٥) عويس، عبدالحليم : ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، د. ط، القاهرة : الناشر دار الاعتصام، ١٣٩٩ هـ، ص ٤٠ (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : عويس : ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري).

اثنتان وعشرون دولة<sup>(١)</sup>. تعد فترة حكم عبدالرحمن الناصر، الذي تولاه في (٣٠٠ هـ)، من أزهى عصور الأندلس، حيث تمتع الأندلسيون فيها بأيام حكمه، والتي تشبه أيام الرشيد في بغداد، وتوفي عام ٣٥٠ هـ. تولى الحكم بعده ابنه المستنصر بالله، وهو أعلم الأمويين وأحكمهم على الإطلاق، وتوفي عام ٣٦٦ هـ، وبعد وفاته انقضى العهد الذهبي في الأندلس وبدأ عصر الفوضى والاضطرابات، وتولى بعده ابنه هشام المؤيد، ولأنه كان صغيراً في سنه فقد آلت الأمور إلى يد أبي عامر محمد إلى أن توفي عام ٣٩٩ هـ. وبعد وفاته انتهت العامرية، وعاشت البلاد في حالة اضطراب سياسي وتوالى عليها عدة حكام، وختم ملك الأمويين سنة ٤٢٢ هـ<sup>(٢)</sup>، من ثم بدأ عصر ملوك الطوائف، وهو يدل على حال البلاد من اضطراب وتفرق، ولم يكن هؤلاء ملوكاً بل عمالاً استبدوا بالأمر، ولم يتخذوا ألقاباً ملوكية، بل مسميات، ولم يتزعموا طوائف من سكان البلد كما يظن من تسميتهم، بل كانوا رؤساء النواحي أستبد كل منهم بناحيته، وأراد أن يظهر بمظهر الأمير أو السلطان<sup>(٣)</sup>. بدأت في مطلع القرن الخامس حرب غيرت أحوال الأندلس السياسية والاجتماعية، هذه الحرب خاضتها أربع قوى هي السامريون في الشرق، والبربر جنوباً، والأسر العربية في الغرب، والوسط بقايا الأمراء الأمويين<sup>(٤)</sup>.

امتد عهد ملوك الطوائف من سنة ٤٢٢ - ٤٨٤ هـ، وهو عهد مليء بالاضطرابات والفوضى والتناحر والقبلية الصارخة والأناية الهدامة<sup>(٥)</sup>. وعندما استفحلت الاضطرابات ويش الأمويون من العثور على حاكم ذا شخصية قوية، اجتمع كبار أهل قرطبة برئاسة ابن حزم بن جهور، واستقر رأيهم على إلغاء الخلافة، وعزلوا آخر خليفة لبني أمية، وهو هشام الثالث. ولم يكذ إعلان انتهاء الخلافة حتى استقل كثير من الأمراء بمدنهم ومقاطعاتهم، حتى أصبح في الأندلس عشرين أسرة حاكمة<sup>(٦)</sup>، وأغلب ملوك الطوائف لا يستحقون الذكر،

(١) ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، طرق الحماسة في الإلفة والألاف، تحقيق فاروق سعد، ط١، بيروت: الناشر دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م، ص ١٢ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا: ابن حزم: طرق الحماسة).

(٢) مكتب التربية العربي لدول الخليج: من أعلام التربية العربية الإسلامية، الناشر مؤسسة آل البيت، ١٩٨٨، ج ٢، ص ٢٦٩ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا: مكتب التربية العربي لدول الخليج، من أعلام التربية).

(٣) مؤنس، حسين: تاريخ وجغرافية الأندلس، ط ١، القاهرة: الناشر الشركة العربية للطباعة، ١٩٥٩م، ص ٣٥٩ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا: مؤنس: تاريخ وجغرافية الأندلس).

(٤) الخولي، عبدالهدى عبدالعزيز: الفكر التربوي في الأندلس، ط ٢، القاهرة: الناشر دار الفكر العربي، ١٩٨٥م، ص ٢٥، ٢٦ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا: الخولي: الفكر التربوي في الأندلس).

(٥) شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط ٦، القاهرة: الناشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٧م، ج ٤، ص ٦٨ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا: شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي).

(٦) المرجع السابق، ص ٦٨.

وأكثرهم جاء ولید الضعف أو المصادفات، إلا بنو عباد، لأنهم حاولوا ضم الشعب وبعث الحياة من جديد في الدولة المتجهة للأفوال، ومن الواضح أن أكثر إمارات الطوائف قد بدأت قبل سقوط الخلافة الأموية (١).

إن عصر الطوائف فيه عظة سياسية كبيرة، حيث تمزقت الدولة في هذا العصر إلى إمارات صغيرة، وبلغت قمة الفوضى السياسية، والاضطراب الداخلي، إذ أن المسلمين نعموا بالخيرات التي وجدوها في الأندلس، وفي زمرة هذا النعيم نسوا أنفسهم، ونسوا أن يحافظوا على ملكهم هذا، إلى أن جاءت قوى دخيلة تكن في نفسها حقداً عليهم، وأخذت تعمل على الإطاحة بهم. في تلك الأثناء وجد الفونس تحت إمرته بعض المقاطعات، وأخذ يمد حيلة للملك الطوائف لأن هؤلاء لم يتركوا جهداً دون أن يبذلوه لإضعاف منافسه وكانوا يحسون قدمي الفونس استجداءً لمعاونته كل ما ضعفوا عن مقاومة أخوانهم المسلمين، وتقريب كل الدويلات الإسلامية إلى الفونس ضد بعضهم البعض (٢). وهكذا عاشت بلاد الأندلس في عهد ملوك الطوائف أيام عصيبة، إذ أن هؤلاء الملوك وجدوا صعوبة في توحيد صفوفهم، وبالتالي ضعفت قوتهم، وعدوهم مصمم على إجلاتهم، واستنصالح المسلمين من الأندلس نهائياً. لكن كانت هناك قوة تمتاز بالشجاعة استطاعت تدارك الموقف وهي قوة المرابطين التي استطاعت أن تقضي على عهد ملوك الطوائف (٣).

وخلاصة الحالة السياسية في هذه الفترة تظهر في قول المقرئ: « انقطعت الدولة الأموية من الأرض، وانتشر سلك الخلافة بالمغرب، وقام الطوائف بعد انقراض الخلافة، وانزوى الأفراد والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات، واقتسموا خطتها، وأخيراً استقل بأمورها ملوك استفحل أمرهم (٤). ولعل سنين ابن حزم شهدت الأندلس تشتت وتفتت في وحدة القطر وانحداره نحو الضعف في الحكم والسياسة والاجتماع والأخلاق (٥).

(١) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٣.

(٤) المقرئ، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أحمد: نفع الطبيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محي الدين، بيروت: الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩م، ص ٥٩ (وسبق إليه فيما بعد هكذا: المقرئ: نفع الطبيب).

(٥) مكتب التربية العربي لدول الخليج: من أعلام التربية، ج ٢، ص ٢٦٩.

## المطلب الثالث : الحالة الاجتماعية في الأندلس :

### الفرع الأول : التركيبة السكانية في الأندلس قبل الفتح الإسلامي :

كانت الأندلس قبيل الفتح الإسلامي محتلة من جماعة بربرية من الألان والهنون والقوط والواندال اللذين اغتصبوا شبه جزيرة إيبيريا من سكانها الأصليين الرومان والغال والإيبيريين، واحتلوا الجزء الجنوبي وغيروا اسمه إلى فاندلوسيا الاسم الذي اشتق منه المسلمون لفظ الأندلس<sup>(١)</sup>، وأخذ القوط يتوسعون في شبه الجزيرة، وظل الأهلون مزيجاً من القبائل المتبررة من كل جنس، واتخذ القوط مدينة طليطلة عاصمة لهم، وكانت أحوالهم السياسية مضطربة. أما ثقافتهم فكانت على مستوى رفيع من العلم والفن، وضع أصوله الفينيقيين، إلى أن جاء العهد المسيحي، والذي من أشهر شخصياته القديس إيزودور الأشبيلي الذي لم يكن كاتباً دينياً فحسب، إنما كان وحده أمة<sup>(٢)</sup>. ولما نزل العرب الأندلس وجدوا فيها القوط الذين كانوا الطبقة الحاكمة وأصحاب الأراضي، والروم والإيبيريين. أما أكثر سكان البلاد فكانوا إشبان يطلق عليهم الإيبيريين نسبة إلى نهر آبرة وكانوا هؤلاء هم الطبقة المستعبدة، وأما اليهود فسيطروا على إيبيريا<sup>(٣)</sup>.

### الفرع الثاني : التركيبة السكانية في الأندلس بعد الفتح الإسلامي :

كان سكان الأندلس في عصر الولاة طبقات متميزة، وكانت مقسمة دينياً وجنسياً واجتماعياً كما يلي<sup>(٤)</sup> :

- ١- المسلمون : هم أهل الدولة الجديدة، الفاتحين اللذين اعتنقوا الإسلام، إما إيماناً واحتساباً، أو رياءً وجرأً لوجهة سياسية أو منفعة اقتصادية، وكان يطلق على كل هؤلاء اسم أهل الأندلس.
- ٢- العرب : هم قسمان، أو عصبتان متخاصمتان القيسية واليمينية. ومن حيث تاريخ نزولهم أيضاً قسمان : البلديون، أي أهل البلد القدماء، اللذين جاؤا مع طارق بن زياد وموسى بن نصير، والشاميون اللذين جاؤا مع بلج بن بشر .

- ٣- البربر : فرعين كبيرين هما البز والبرانس، وكان بينهم من العصبية مثل ما بين القيسية واليمينية.

(١) القاضي، مختار : أثر المدينة الإسلامية في الحضارة الغربية، القاهرة : الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٢م، ص (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : القاضي : أثر المدينة الإسلامية).

(٢) مؤنس، حسين : فجر الأندلس، ط١، القاهرة : الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٥٩م، ص ٢٩ (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : مؤنس : فجر الأندلس).

(٣) فروخ، عمر : العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط، ط١، بيروت : الناشر دار الكتب العالمية، ١٩٧٨م، ص ١٧٩ (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : فروخ : العرب والإسلام).

(٤) المرجع السابق، ص ١٨١.



إذن، فإن سكان الأندلس كانوا مزيجاً من العرب والبربر من قبائل شتى، ولم يكن الأمر مضبوطاً بيد حازمة من أمير محكم أو ذي قوة مؤثر بل كان الولاة ضعافاً<sup>(١)</sup>، والبربر هم أقدم أمة عرفها التاريخ في الشمال الأفريقي، وقيل جاءت كلمة البربر من أن شعب المغرب اتخذ اسم أحد آبائه البعيد وهو بر بن قيس، ولم يأت القرن الهجري حتى كانت أنسابهم قد دوت بالعربية، وأصبحت علماً مثل أنساب العرب، وقسمت قبائلهم إلى مجموعتين، هما : البرانس والبر<sup>(٢)</sup>. من الواضح أن العنصرين اللذين دخلا شبه جزيرة إيبيريا في أثناء الفتح وبعده هما العرب والبربر، إلا أنه من الصعب التمييز بين عدد اللذين دخلوا البلاد من هذا العنصر أو ذاك، لأن المصادر قليلة، سواء منها العربية أم اللاتينية، إضافة إلى الغموض الذي ساد تلك الفترة من تاريخ الإسلام في الغرب<sup>(٣)</sup>.

### الفرع الثالث : المسلمون في الأندلس :

كان من أنفس ما سدد الله المسلمون إلى جنحه وقيض لهم بالجهد الطويل وسائل ربحه هذه الجزيرة الأندلسية الخضراء، الخطة العذراء، والذرة الدهماء، والبقعة الجامعة بين الشمس والأنباء، والراحلة في حلل موشية من حول الأرض وطراز السماء، فأتوها من كل فج بين محتسب ومكتسب وراغب في الدنيا وما هو للأخرة، وما زالوا بها، حتى خيم الإسلام بعقرتها تخيم، وأمدتهم جزيرة العرب بأفلاذ أكبادها، وكان الخلاف بين القيسية واليمينية والخلاف على الخلافة بين العباسية والأموية، وما أضيف إلى ذلك من ملاحم بين القبائل العربية والبربرية قد ألحقوا بالأندلس جميع الأرض الكبيرة، وصارت لهم من جبال البرانس أندلسيات كثيرة. ولكن انشغالهم بفتنتهم الداخلية، وانهماكهم بمشاجراتهم العائلية، وبقاء ما بقي من طباعهم من سمية الجاهلية، واستبدالهم ملوك الطوائف بجيوش الطوائف، وحركات الفساد بحركات الجهاد، ورضاهم عن تحمل الهزائم بدلاً عن تجريد العزائم. كل ذلك أعاد تقدمهم تأخراً، ورد تجمعهم تبعثراً، حتى صار عدوهم في الجزيرة قسيماً لهم مشاركاً وخليطاً معهم متشابكاً<sup>(٤)</sup>.

(١) المقرئ : فتح الطيب، ج١، ص ١٥٣.

(٢) خطاب، محمود شيت : قادة فتح المغرب العربي، د.ط، بيروت : الناشر دار الفكر، د.ت، ج ١، ص ١٦، (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : خطاب : قادة فتح المغرب العربي).

(٣) خالص، صلاح : أشبيلية في القرن الخامس الهجري، د.ط، بيروت : الناشر دار الثقافة، ١٩٨٧م، ص ٢٩ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : خالص : أشبيلية في القرن الخامس الهجري).

(٤) أرسلان : الخلل السني، ص ٣٢.

عاش المسلمون في الأندلس حوالي ثمانية قرون، كانت الأندلس خلال فترة طويلة منها قبلة العلوم ومصدر الازدهار والتقدم في شتى الميادين، وقد تسبب ذلك في أن جذبت كثيراً من علماء الشرق، وأن نشأ بها كثيرون من العلماء الأفاضل، وكانت نتيجة ذلك أن دون تاريخ الأندلس وتاريخ الفكر الإسلامي بالأندلس في مجموعة خضبة من المراجع في قمتها ما دونه المقرئ وابن خلدون وابن بسام، والمسلمون اللذين دخلوا أسبانية جاؤا من انشمال الأفريقي، ويتكونون من عنصرين رئيسيين هما العرب والبربر، وقد بدأ الخلاف بين العرب والبربر في مطلع عهد المسلمين بالأندلس، ولم يتوقف قط. ثم أن العرب يمنيون أو مغربيون هم في خلاف لا ينقطع حول الإمارة والمال والسلطان، وقد أخذوا بذور هذا الخلاف معهم من الجزيرة العربية<sup>(١)</sup>.

إن الخلافة الإسلامية لم يكن لها فتح الأندلس جهداً خاصاً. لم يجيش المسلمون جيشاً واحداً لفتح الأندلس، ولم يخرجوا من خزائنهم درهماً واحداً لإعداد حملات الفتح، إنما فتح الأندلس البربر وجند أفريقيا وجند مصر. والخلافة نفسها لم تغنم بشيء مادياً من هذا الفتح، إنما غنمها اللذين قاموا بالفتح وحده. وكما أن الأندلس لم يبعث إلى مركز الخلافة شيئاً رغم أنه كان بلداً غنياً. ويرجع ذلك إلى بعد الأندلس عن مركز الخلافة جعلها لا تحاول بسط سلطاتها<sup>(٢)</sup>.

#### الفرع الرابع: القيم السائدة في المجتمع الأندلسي:

كان المظهر الغالب على حياة المدن الأندلسية هو المظهر الريفي، والذي من مظاهره البساطة، والخشونة، والطيبة، وعدم التصنع في المعاملات، وعدم التنازع بالألقاب، والارتفاع من الجهد اليدوي الزراعي، وكان الكسب الحلال من الزراعة يجتذب إليه الكثير من العلماء والأتقياء<sup>(٣)</sup>.

وقد تميزت الحياة الاجتماعية في هذا المجتمع منذ البدء بالفهم الصحيح للمسئولية الاقتصادية وتقدير الكسب والتدبير في موازنة الدخل والخرج على نحو قد يعده المشاركة بخلاً. وكل هذا الوعي الجديد هو الذي حمى بيئتهم وأبعد عنهم الإغراق في التصوف الاتكالي، أو استحداث النوبرات والتكايا، كما أنشأ الحكم المستنصر داراً أسماها دار الصدقة، لكن يبدو أن التعرض للصدقات في الأندلس كان قاصراً على كل

(١) شلي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج٤، ص٧٦.

(٢) مؤنس حسين: فجر الأندلس، ج١، ص١٢٤.

(٣) عباس، إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ط٢، بيروت: الناشر دار الثقافة، د.ت، ص٢٣ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا: عباس: تاريخ الأدب الأندلسي).

محتاج معذور. أما القادر على الكسب فإنه يتجه إلى حرفة تكفيه وتعينه على الحياة ، لذا انتعشت روح التعاون ، هذه الروح التي يمثلها ابن الكتاني، أستاذ ابن حزم، حين يقول لتلاميذه: « إن من العجب من يبقى في هذا العالم دون معاونة لنوعه على مصلحة، أما يستحي أن يكون عيالا على كل العالم لا يعني هو أيضاً بشيء من المصلحة »<sup>(١)</sup>. ويعلق ابن حزم على هذا بقوله : « ولقد صدق ولعمري أن في كلامه من الحكم لما يستنير الهمم الساكنة إلى ما هيئت له، وأي كلام في نوع هذا أحسن من كلامه في تعاون الناس »<sup>(٢)</sup>.

إن كثيراً مما تقدم يمنح المجتمع الأندلسي لوناً قد يكون فارقاً إلى حد ما، وقرينا كثيراً من الشعور بالتسامح إزاء الحياة ومظاهر النمو الحضاري<sup>(٣)</sup>.

#### المطلب الرابع : الحالة الدينية والعلمية في الأندلس :

##### الفرع الأول : جوانب من الحالة الدينية في الأندلس :

إن القوة الروحية في الأندلس تتألف من قسم من رجال الدين ، وعلى رأسهم القاضي ومستشاره، فالخليفة الأموي هو الرئيس الديني الأعلى، وحقه الشرعي في إدارة المسلمين هو حق معترف به ورثه عن أجداده الخلفاء الأمويين في الشام، وكان الخليفة يستغل هذا الحق الشرعي إلى أقصى حدوده مع احترام نسبي لوضعه كرئيس ديني أعلى. ولقد كانت السلطات الدينية، لا سيما القاضي، تحتل منزلة محترمة جداً في المجتمع وتتمتع بقدر كبير من النفوذ<sup>(٤)</sup>.

لقد كان للقضاء مركزاً ممتازاً في الأندلس كما كان في غيرها من البلاد الإسلامية، وكان الأمير أو الخليفة الرئيس الأعلى للقضاء، وذلك لتعلق هذه الوظيفة بالدين، وكان قاضي القضاة يسمى قاضي الجماعة، ويشترط فيه أن يكون متبحراً في العلم مشهوراً له بالنزاهة والاستقامة، وأن يكون عربياً خالصاً، ولكن طالما تقلد القضاء الموالي والمولدون والبربر، وأحسن مثال لذلك يحيى بن يحيى البتي قاضي قضاة الأندلس، وكان من أصل بربري<sup>(٥)</sup> ويسير القضاة في الأندلس وفق مذهب الإمام مالك بن أنس. ومن

(١) عباس : تاريخ الأدب الأندلسي، ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٧.

(٤) خالص : أشيولة في القرن الخامس الهجري، ص ٦٨.

(٥) المقرئ : نفح الطيب، ج ١، ص ١٠٣.

اختصاصات القاضي الإشراف على الصلاة في أيام الجمع والعيد في المسجد الكبير بقرطبة أو بمسجد الزهراء الذي بناه الناصر<sup>(١)</sup>.

الفرع الثاني : جوانب من الحالة العلمية :

أولاً : الرحلة العلمية :

تعرضت بلاد الأندلس منذ مطلع القرن الخامس الهجري إلى العديد من الأحداث والتطورات في جميع مظاهر الحياة السياسية ، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية. أمّا من الناحية العلمية فقد نشطت الرحلات إلى المشرق، وكانت هذه الرحلات هي إحدى الروافد الفنية التي لعبت دورها في ازدهار الحركة العلمية في الأندلس، كما حاز الكثير من رحل طلباً للعلم شهرة وجاء ، منهم الحميدي والشاطبي والقرطبي<sup>(٢)</sup>.

إن الرحلة العلمية بين الأندلس والمشرق طلباً للعلم والمعرفة، والنهل من مصادر الثقافة والفكر، كان لها أثرها المباشر في النشاط والتطور الفكري والثقافي والاجتماعي فيهما<sup>(٣)</sup>.

ثانياً : تشجيع الخلفاء للعلم :

كان عصر الخلافة في الأندلس، والرعاية والتشجيع الذي لقيه العلماء، من أهم العوامل التي منحت الأندلس في القرن الخامس الهجري عدداً ضخماً من المفكرين والأدباء والشعراء والأطباء والعلماء. كما أثرى الحياة العلمية والثقافية في الأندلس مما جعلها تنعم بنهضة عامة، كان من أبرز ظواهرها بروز الشخصية العلمية الأندلسية، وقوتها واستغلالها بالابتكار والإبداع في مختلف فروع المعرفة. وقد ساعدت على ذلك أيضاً الحرية الفكرية والاتصال بينابيع المعارف الإغريقية واللاتينية<sup>(٤)</sup>.

وما ساعد على ازدهار النهضة العلمية في الأندلس إكرام الحكم للعلماء. فقد استقدم إلى بلاطة أبا علي القالي اللغوي المشهور، وأكرم مشواه وحسن منزلته، فأورث القالي أهل الأندلس علمه وألف كتابه

(١) حسن، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ط ١٠ ، القاهرة : الناشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢م، ج ٤، ص ٣٨٣ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : حسن : تاريخ الإسلام).

(٢) عيسى، محمد عبد الحميد : تاريخ التعليم في الأندلس، التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات، د. ط، الناشر مؤسسة آل البيت ، د. ت، ج ٢، ص ٤٧ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : عيسى : تاريخ التعليم في الأندلس).

(٣) المرجع السابق، ص ٤٧.

(٤) العبادي ، عبد الحميد : المجلد في تاريخ الأندلس، ط ٢، بيروت : الناشر دار التعلم، د. ت، ص ١٢٨ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : العبادي : المجلد في تاريخ الأندلس).

الأمالى، وهو عبارة عن المحاضرات التي كان يلقيها على بلاطة في جامع قرطبة الذي أخذ يتحول إلى جامعة لكثرة العلماء الذين كانوا يحاضرون فيه، كما كان الحكم يعقد حلقات الدرس في قصره مع العلماء ويجلس معهم على قدم المساواة في المنزلة العلمية. كما اعتنى بنشر الثقافة العلمية في أنحاء دولته، وأكثر من بناء المدارس والمكاتب في قرطبة وفي الأمصار، ويتعلم فيها أبناء الفقراء مجاناً<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً : الإقبال على شراء الكتب :

كان إقبال أهل الأندلس وعلمائهم وأكابرهم كبيراً على شراء الكتب واقتنائها ، فمما يدل على ذلك ولع الحكم المستنصر بجمع الكتب، حتى قيل أنه جمع مالا يوصف كثرة ونفاسة، حتى أن مكتبته بلغت نحواً من أربعمئة ألف مجلد، وقد استغرقوا ستة أشهر في نقلها . وكان يستجلب المصنفات من الأقاليم والنواحي باذلاً فيها ما أمكن من الأموال<sup>(٢)</sup>.

### رابعاً : مؤسسات التعليم في الأندلس :

لقد مارس الأندلسيون، كغيرهم من أهل أقطار العالم الإسلامي، التعلم والتعليم في أكثر من مكان، وأصبح التقاء العالم بطالب العلم فرصة للإفادة والاستفادة دون اعتبار لمكان هذا اللقاء أو زمانه، فقد حرص العلماء على إلقاء دروسهم حيثما اتفق: في المسجد، أو في المنزل، أو في السوق، أو في الخوانيت، أو البساتين والمنتزهات، وسواء كان الوقت ليلاً أم نهاراً. وكثيراً ما نجد في تراجم العلماء أن هذا العالم صابر على التعليم دائب عليه ليله ونهاره، وفي المقابل فإن طالب العلم كان يحرص على الاستفادة من العالم في جميع الأزمان وكل الأمكنة حتى وصل الأمر ببعضهم إلى ملازمة شيخه سنين طويلة. وأن يبيت معه في منزله ليظفر منه إما بشرح مسألة أو بمطالعة موضوع من كتاب، ولا غرو إذاً مع توفّر هذه الروح أن تتعدد أماكن التعلم والتعليم في الأندلس في تلك الفترة<sup>(٣)</sup>، ومن أمثلة دور العلم في الأندلس ما يلي :

(١) عيسى : تاريخ التعليم في الأندلس . ص ٤٧١.

(٢) سالم : تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٦.

(٣) المريني، يوسف بن علي : الحياة العلمية في الأندلس، ط ١، القاهرة : الناشر مكتبة النهضة المصرية، د.ت، ص ١٠١ (وسيشار إليه فيما بعد هكذا : المريني : الحياة العلمية في الأندلس).

## ١- المكتب أو الكتاب :

تبين للباحثة أن بعض معلمي الكتاب في الأندلس خلال القرن الخامس الهجري قد اتخذوا من المساجد مكاناً للتعليم، لذا فإن المكاتب خلال هذه الفترة تنقسم إلى قسمين من حيث المكان منها ما هو في المساجد، ومنها ما هو خارجها أو قريباً منها. وكان التعليم بالمكتب هو الأساس للتعليم الذي سوف يناله المرء في مستقبل أيامه<sup>(١)</sup>.

## ٢- المسجد :

أعطى الإسلام مكانة كبرى للمسجد لما له من دور في بناء الأمة، ولقد طبق الرسول ﷺ ذلك عملياً، حيث أن أول عمل قام به بعد وصوله إلى المدينة مهاجراً أن أمر ببناء مسجده، فكان مكاناً لأداء العبادات، وداراً للحكومة النبوية، ومؤسسة لاجتماع المسلمين، وقد اقتدى المسلمون بهذا، فنجدهم كلما فتحوا بلاداً اتخذوا فيها مسجداً، وكذلك إذا اختطوا مدينة جديدة كان المسجد أول ما يبدأ بها، ويكون هو المركز الذي تصب فيه طرقات المدينة حتى يتسنى للجميع الوصول إليه. وإذا كان التطور الذي أصاب الدولة الإسلامية قد جعل المسجد يتخلى عن بعض أدواره لمؤسسات أخرى، فإن دوره العلمي قد نما وازدهر بدرجة كبيرة خاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ويكاد يكون دور المسجد العلمي في الأندلس يفوق دوره في مشرق العالم الإسلامي، ويرجع هذا السبب لكثرة المساجد في المدن الأندلسية<sup>(٢)</sup>.

ولقد شهدت البلاد الإسلامية نهضة علمية شملت جميع الميادين، وكان المسجد هو الذي احتضن هذه النهضة، وحفلت أروقته بمعظم الدراسات الشرعية واللغوية وغيرها<sup>(٣)</sup>.

## خامساً: تطور الحركة التعليمية :

إن التقدم الحقيقي للحضارة في الأندلس بدأ في عهد عبدالرحمن الناصر، حيث حض ابنه الأمير الحكم إلى العناية بالعلوم، وإلى إيثار أهلها . واستجلب من مصر وبغداد وغيرها عيون التواليف الجليلة، والمصنفات الغريبة، والعلوم القديمة والحديثة ، وجمع منها في بقية أيام أبيه، ثم في مدة ملكه، ما كاد يضاهي ما جمعه ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة وتهياً له ذلك لفرط محبته للعلم. ويُعد همته في

(١) المرجع السابق، ص ٨٦.

(٢) العوني : الحياة العلمية في الأندلس، ص ١٠٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٢.

اكتساب الفضائل وسمو نفسه إلى التشبه بأهل الحكمة من الملوك، فكثير تحرك الناس في زمانه إلى قراءة كتب الأوائل وتعلم مذاهبهم<sup>(١)</sup>. ولقد أراد خلفاء قرطبة منافسة خلفاء بغداد، فأنشأ الحكم المستنصر على غرار بيت الحكمة العباسي مكتبة اجتمع فيها ما أن فهارسه وحدها تبلغ أربعة وأربعين في كل فهرست عشرون ورقة<sup>(٢)</sup>.

ثم جاء عهد هشام ابن الحكم (المؤيد) فعمد أولاً إلى خزائن أبيه الجامعة للكتب وأبرز ما فيها من ضروب التأليف بمحضر خواص من أهل العلم، وأمرهم بإخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة من علوم المنطق والنجوم والطب والحساب والنحو والأشعار والأحباء والفقه والحديث وغيره من العلوم المباحة في الأندلس<sup>(٣)</sup>.

أما العلوم الشائعة في الأندلس فهي :

١-٣ القرآن، والحديث، والفقه :

إن القرآن عند أهل الأندلس ذا منزلة ومكانة، وكذلك الحديث وقراءة القرآن بالقراءات السبع ورواية الحديث من منزلة رفيعة، وللفقه رونق ووجاهة، ولا مذهب لهم إلا مذهب الإمام مالك، وسمة الفقه عندهم جليلة حتى كان المسلمون يسمون الأمير العظيم عندهم بالفقيه تعظيماً له، وقد يسمون الكاتب والنحوي واللغوي فقيهاً. وعلم الأصول عندهم متوسط الحال، والنحو في نهاية علو الطبقة، حتى أن أهل عصرهم فيه كأهل عصر سيبويه والخليل بن أحمد، وكل عالم في أي علم لابد أن يكون متمكناً في علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق، فليس عندهم بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء<sup>(٤)</sup>.

٤- الفلسفة :

من التخصصات الشائعة في الأندلس الفلسفة، لكن العهد الفلسفي في الأندلس تأخر عنه في بغداد، ويرجع ذلك إلى أنهم كانوا يعتمدون على أهل بغداد ومراكز الحضارة الإسلامية الأخرى، وكانت دراسات

(١) القاضي : أثر المدنية الإسلامية في الحضارة الغربية، ص ٦٩.

(٢) ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد التونسي (ت ٥٠٨) : تاريخ ابن خلدون، د.ط، بيروت : الناشر دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٩م، ج٤، ص ١٤٦، (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون).

(٣) القاضي : أثر المدنية الإسلامية في الحضارة الغربية، ص ٦٩.

(٤) الشنتشتاوي، إبراهيم زكي خورشيد : دائرة المعارف الإسلامية، مراجعة محمد مهدي علام، د.ط، القاهرة : الناشر وزارة المعارف د.ت، ج ١٠، ص ٢٥٣ (وسبشار إليه فيما بعد هكنا : الشنتشتاوي : دائرة المعارف الإسلامية).

الأندلسيين الفلسفية في الرياضة والفلك. وما زاد من تقدمها دخول رسائل أخوان الصفا إلى الأندلس بعد إسلام الأسبان وانضمامهم إليهم لشدة تقشف أخوان الصفا وتسكهم بالدين<sup>(١)</sup>.

#### ٥- الأدب :

نشأ في الأندلس نوع جديد من الشعر يعرف بالزجل<sup>(٢)</sup>.

#### ٦- الفن القصصي :

عرف مسلمو الأندلس كثيراً من القصص التي ترجمها المشرقيون، ككليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، والسندباد، وغيرها. أو التي ألفوها كمقامات الحريري<sup>(٣)</sup>.

#### ٧- القانون :

ترك المسلمون نصارى الأندلس أحراراً ينظمون أمورهم على النحو الذي أرادوه ما داموا على الطاعة، فظلوا يفصلون في أقضيتهم وفقاً للقانون القوطي القديم، وظلت علاقاتهم بكنائسهم وقساوستهم على ما كانت عليه قبل الفتح، وقد ترك العرب للجماعات النصرانية نظامها المدني الذي كانت جارية عليه أيام القوط. أي أن القائمين بأمره كانوا مسؤولون عن كل ما يتصل بأمر رعاياهم، وكانوا يعينون لهم القضاة الذين يفصلون في منازعاتهم بحسب القانون القوطي. أما في القضايا التي تقع بين المسلمين وغير المسلمين فإنه ينظر فيها قضاة المسلمين، يحكمون فيها بشريعة الإسلام. ولهذا جاءت في أحد كتب الفقه الأندلسية أنه يستحق للقاضي الجلوس في رحاب المسجد حتى يصل إليه النصارى واليهود<sup>(٤)</sup>.

#### سادساً : تعليم المرأة :

كانت للبنات في الأندلس حظ من التعليم، وإن سكنت المصادر عن توضيح الكيفية التي تعلمن بها بشكل محدد. ولكن دراسة آراء الفقهاء الذين تكلموا في المجالات المتعلقة بالتعليم تدل على تعليم البنات

(١) القاضي : أثر المدنية في الحضارة الغربية، ص ٧١.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٣.

(٤) حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص ٤٤٧.



في المكتب. ومن المؤكد أن الفتيات قد تلقين قسطاً وافراً من التعليم في المرحلة الأولى سواء عن طريق الآباء، أو الأقارب أو في الكتاب، وخاصة قبل سن البلوغ<sup>(١)</sup>، أما دورها كمعلمة في هذه المرحلة، فالنصوص الواردة قليلة ونادرة منها، مثلاً ما ورد عن ابنة حزم المعلمة التي كانت تؤدب مع والدها وأخيها في دار واحدة، وأخرى عرفت باسم غالية بنت محمد المعلمة الأندلسية<sup>(٢)</sup>. ولقد تمتعت النساء من بنات الخلفاء وكبار رجال الدولة في الأندلس بفرصة طيبة في مجال التعليم، وكان تعليمهن يتم في المنازل والقصور، وتولى تعليمهن سيدات من أهل البلاد، أو بعض المؤدبين المشهود لهم بالصلاح والتقوى. وكان اختيار المعلمين والمعلمات يتم بواسطة الآباء شخصياً<sup>(٣)</sup>.

---

(١) عيسى : تاريخ التعليم في الأندلس ، ج ٢ ، ص ٤٨٥ .

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨٥ .

(٣) المرجع السابق، ص ٥١٤ .

## المبحث الثاني

### التعريف بالإمام ابن حزم الأندلسي

أولاً : اسم الإمام ابن حزم الأندلسي ونسبه :

هو أبو محمد <sup>(١)</sup> علي بن أحمد بن سعيد <sup>(٢)</sup> بن غالب <sup>(٣)</sup> بن صالح <sup>(٤)</sup> بن خلف <sup>(٥)</sup> بن معدان بن سفيان بن يزيد <sup>(٦)</sup> الفارسي الأصل الأندلسي القرطبي اليزيدي <sup>(٧)</sup> الفارسي الأموي <sup>(٨)</sup>.

ثانياً : مولد الإمام ابن حزم الأندلسي ونشأته :

ولد الإمام ابن حزم الأندلسي بقرطبة في آخر رمضان <sup>(٩)</sup> سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة <sup>(١٠)</sup> بالجانب الشرقي من روض منية المغيرة <sup>(١١)</sup>.

---

(١) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) : سير أعلام النبلاء، ط ٢، بيروت : الناشر مؤسسة الرسالة، د.ت، ج ١٨، ص ١٨٤ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الذهبي : سير أعلام النبلاء) المقري : نفع الطيب، ص ٨٣؛ ابن كثير القرشي، عماد الدين بن عمر البصري الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية، ط ٢، بيروت : الناشر مكتبة دار المعارف، د.ت، ج ١٢، ص ٢١، (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : ابن كثير : البداية والنهاية).

(٢) البغدادي، إسماعيل : هدية العارفين، د.ط، بغداد : الناشر وكالة المعارف، ١٩٥٢، ج ٥، ص ٦٩، (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : البغدادي : هدية العارفين)؛ كحالة، عمر رضا : معجم المؤلفين، د.ط، بيروت : الناشر مؤسسة الرسالة، د.ت، ج ١٢، ص ٣٩٣. (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : كحالة : معجم المؤلفين) : الزركلي، خير الدين : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين، ط ١، بيروت : الناشر دار العلم، ١٩٩٢م، ج ٤، ص ٢٥٤، (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الزركلي : الأعلام).

(٣) البافعي، عبدالله بن سعد، (ت ٧٦٨هـ) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان، بيروت : الناشر مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ج ٣، ص ٧٩ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : البافعي : مرآة الجنان).

(٤) الحمري : معجم الأدباء، ج ١٢، ص ٢٣٦ : الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عمدة (ت ٥٩٩هـ) : بغية الملتبس، د.ط، بيروت : الناشر دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م، ص ٣-٤ (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : الضبي : بغية الملتبس).

(٥) الحنبلي : شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٩٩.

(٦) ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك، (ت ٥٧٨هـ) : الصلة، د.ط، القاهرة : الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص ١٩٦٦م (وسبشار إليه فيما بعد هكذا : ابن بشكوال : الصلة).

(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٨٤، كحالة : معجم المؤلفين، ص ٣٩٣.

(٨) المقري : نفع الطيب، ج ٢، ص ١٨٣، ابن الفلاح الحنبلي : شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٩٩.

(٩) كحالة : معجم المؤلفين، ص ٣٩٣.

(١٠) الحموي : معجم الأدباء، ج ١٢، ص ٢٣٧.

(١١) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٨٤.

نشأ في تنعم ورفاهية، فقد وزر في شبابه <sup>(١)</sup>، وكان من بيت وزارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة <sup>(٢)</sup>، وكان أبوه من الوزراء، وولي هو وزارة بعض الخلفاء من بني أمية <sup>(٣)</sup>.

### ثالثاً : طلب الإسهام ابن حزم الأندلسي للعلم :

نزل بأسرة ابن حزم في أول شبابه صدمة نقلتها من العزة إلى التغريب والانتساب، ولكنها لم تنقلها من الغنى إلى الفقر، بل أن البقية التي بقيت لها من المال كانت كبيرة، وقد كانت تلك الصدمة موجهة إلى ابن حزم لكي يكون للعلم خالصاً، ولا يغتر بغيره، وإن تخلل حياته اشتغال بالسياسة، فقد كان عرضياً، وبحكم الوفاء اتجه إلى العلم، وقد مهدت له أسرته طريقة فتذوقه صغيراً وحلا مذاقه في نفسه كبيراً فانصرف إليه. اتجه إلى طلب العلم بالقرآن، ثم رواية الحديث وعلم اللسان، فبلغ في كل ذلك المبلغ الذي وصل فيه إلى المرتبة العليا، ثم اتجه إلى الفقه ولكنه لم ينصرف إليه بكلية في صدر حياته بل كان يتعلم منه ما يكفي ثقافة رجل يكون جرساً في العلوم التي اشتهرت في عصره من لغة وحديث وقرآن وفلسفة إلى غير ذلك <sup>(٤)</sup>. قال صاعد بن أحمد : « كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الحديث، وأوسعهم معرفة مع توسعهم في علم اللسان، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والإخبار، وأقبل على علوم الإسلام حتى نال ما لم ينله أحد في الأندلس قبله » <sup>(٥)</sup>.

وقال الحميدي : « كان حافظاً، عالماً بعلوم الحديث، وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متفتناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه من قبله » <sup>(٦)</sup>. وقال البيهقي : « كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين » يعني بذلك كثرة وقوعه في الأثمة <sup>(٧)</sup>، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع، وباع طويل. وله قصيدة يفخر فيها بالعلم، منها :

(١) المرجع السابق، ج٨، ص١٨٦.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية، ج٢، ص٩٢.

(٣) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي الكتاني : لسان الميزان، ط٢، بيروت : الناشر دار الكتاب العربي، د.ت، ج٤، ص١٩٨، (ويشار إليه فيما بعد هكنا : ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان).

(٤) أبو زهرة، محمد : تاريخ المذاهب الإسلامية، ط١، بيروت : الناشر دار الفكر، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، ج٢، ص٣٦٦ (ويشار إليه فيما بعد هكنا : أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية).

(٥) اللبكي : سير أعلام النبلاء، ج٨، ص١٨٧ - ١٨٨.

(٦) الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي (ت ٤٨٨هـ) : جذوة المقتبس، د.ط، القاهرة : الناشر الدار المصرية ١٩٦٦م، ص٣٠٨.

## أنا الشمس في جو العلوم منيرة

ولكن على أن مطلعي الغرب<sup>(١)</sup>

وقال الحنبلي: « أما محفوظة قبره عجاج، وماء ثجاج، يخرج من بحره مرجان الحكم، وينبت بشجاجة الفاف النعم في رياض الهمم، لقد حفظ علوم المسلمين وأرى على كل أهل دين، وألف الملل والنحل »<sup>(٢)</sup>. وقال كحالة: « أبو محمد فقيه، أديب، أصولي، محدث، حافظ متكلم، أديب مشارك في التاريخ والأنساب والنحو واللغة والشعر والطب والفلسفة وغيرها، وكان يستنبط الأفكار من الكتاب والسنة »<sup>(٣)</sup>. قال ابن حجر: « حدثني عمر بن واجب قال: كنا بأشبيلية ندرس الفقه، فدخل أبو محمد فسمع ثم سأل عن شيء من الفقه<sup>(٤)</sup>، كان ينهض بعلوم جمّة ويجيد النقل ويحسن النظم والنثر، وقد زهد في السياسة، ولزم منزلة مكباً على العلم »<sup>(٥)</sup>. قال عمر بن واجب: « كنا عند أبي ندرس المذهب، فإذا بأبي محمد بن حزم يسمعنا، ثم يسأل عن مسألة في الفقه، فقليل له: هذا العلم ليس من متعلقاتك، فقام، ودخل منزله، فعكف »<sup>(٦)</sup>.

رابعا: شيوخ الإمام ابن حزم الأندلسي:

جلس ابن حزم الأندلسي إلى شيوخ كثير منهم<sup>(٧)</sup>:

١- أول سماعه كان من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور قبل الأربعمئة.

٢- يحيى بن مسعود أعلى شيخ عنده.

٣- يونس بن عبدالله بن يغيث القاضي.

٤- حمام بن أحمد القاضي.

٥- محمد بن سعيد بن ثابت.

---

(١) الضبي: بغية الملتصق، ص ٤٠٤.

(٢) ابن الفلاح الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٩٩.

(٣) كحالة: معجم المؤلفين، ج ٤، ص ٣٩٣.

(٤) ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج ٤، ص ١٩٩.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٨٧.

(٦) الحميدي: جنة المقتبس، ص ٣٠٨.

(٧) الضبي: بغية الملتصق، ص ٤٠٣.

٦- عبدالله بن ربيع التميمي.

٧- عبد الرحمن بن عبدالله بن خالد.

٨- ابن عمر أحمد بن محمد الظلمنكي.

٩- عبدالله بن يوسف.

١٠- أحمد بن قاسم بن أصبغ.

١١- عبدالرحمن بن يزيد الأزدي .

«ويذكر ابن حزم في كتابه «طوق الحمامة» أن شيخه في مختلف العلوم هو عبدالرحمن بن أبي يزيد الأزدي الذي غادر الأندلس أبان حروب الطوائف»<sup>(١)</sup>.

خامساً : علم الإمام ابن حزم الأندلسي :

كان ابن حزم حامل فنون عديدة، منها الحديث، والفقه، والجدل، والنسب، وما يتعلق بأذيال الأدب، مع أنواع التعاليم القديمة كالمنطق والفلسفة<sup>(٢)</sup>.

كان ابن حزم يحمل علمه، ويجادل به من خالفه، مستنداً بقوله تعالى : « ولتبينه للناس ولا تكتمونه»<sup>(٣)</sup>، وكان يصك به من عارضه صك الجندل، حتى استهدف لفقهاء وقته، فتمالوا عليه، وأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه، وحذروا أكابرهم من قبيله، فطفقوا يعصونه، وهو مصر على طريقته حتى كمل له مصانيفه وقر بعير لم يتجاوز أكثرها عتبة بابه لزهة العلماء فيه ، وكان لا يظهر عليه أثر علمه حتى يسئل فيتفجر منه علم لا تكدره الدلاء.<sup>(٤)</sup>

سادساً : مذهب الإمام ابن حزم الأندلسي :

إن مذهب ابن حزم هو المذهب الظاهري الذي يقرر أن المصدر الفقهي هو النصوص، ولا رأي في حكم من أحكام الشرع، مما يعني عدم الأخذ بالقياس ولا بالاستحسان ، ويعد داوود بن علي الأصفهاني هو منشئ

(١) الشنشاوي : دائرة المعارف الإسلامية، ج١٠، ص١٣٦.

(٢) المسقلائي : لسان الميزان، ج٤، ص٢٠٠، الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٢٠١.

(٣) سورة آل عمران ، آية ١٨٧.

(٤) كحالة : معجم المؤلفين، ج٤، ص٣٩٣.

المذهب، حيث هو أول من تكلم به، كما يدان لابن حزم الأندلسي فضل التوضيح، والبيان، والأدلة، والبسط الواضح، كما أنه فوق هذا كله أشد استمساكاً بالظاهرة من داوود بن علي الأصفهاني<sup>(١)</sup>.

وقد انحسر المذهب الظاهري بالشرق في القرن الخامس الهجري<sup>(٢)</sup> وحل محله المذهب الحنبلي، لكنه بقي في الأندلس مذهباً قوياً صار له شيوخ اختصوا بالدفاع عنه<sup>(٣)</sup>، وقد اعتنقه ابن حزم والمذهب كان في أكثر الأوقات حاجة إلى مثل شخصيته. وقد قيل أن ابن حزم تفقه أولاً للشافعي، ثم أداه اجتهاده إلى القول بنفي القياس كله، جليبه وخفيه، والأخذ بظاهر النص، وعموم الكتاب والحديث، والقول بالبرائة الأصلية، واستصحاب الحال، وصنف في ذلك كتب كثيرة، وناظر عليه، وبسط لسانه وقلمه<sup>(٤)</sup>.

#### سابعاً : مكانة ابن حزم الأندلسي وصفاته :

وصف ابن حزم بأنه : « الإمام الأوحى، البحر ذو الفنون والمعارف، الفقيه، الحافظ، المتكلم الأديب<sup>(٥)</sup>، والعالم الحافظ<sup>(٦)</sup> والإمام العلامة<sup>(٧)</sup>، وكان واسع الذكاء، وسرعة الحفظ، وكرم النفس، والتدين، قال الحميدي : « ما رأينا مثله رحمه الله فيما اجتمع له من سعة الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين<sup>(٨)</sup> ».

#### ثامناً : مؤلفات الإمام ابن حزم الأندلسي :

أخبر الفضل، وهو ولد لابن حزم، أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد<sup>(٩)</sup>. ومن أهم مؤلفاته وأشهرها<sup>(١٠)</sup> :

##### ١- مسائل أصول الفقه.

##### ٢- الأحكام لإصول الأحكام.

- 
- (١) طاهر، حامد : منهج النقد التاريخي عند ابن حزم، مجلة حوالة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قطر، العدد السادس، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٦٠٢.
- (٢) أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية، ج ٢، ص ٣٦٠.
- (٣) أبو زهرة : ابن حزم، ص ٢٣٧.
- (٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٨٤، كحالة : معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٣٩٣.
- (٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٨، ص ١٨٤، كحالة : معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٣٩٣.
- (٦) المقري : نفع الطبيب، ج ٢، ص ٧٩.
- (٧) البيهقي : مرآة الجنان، ج ٣، ص ٧٩؛ ياقوت : معجم الأدباء، ج ١٢، ص ٢٣٦.
- (٨) الحميدي : جلاء المقتبس، ص ٣٠٩.
- (٩) الحنبلي : شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٩٩.
- (١٠) المرجع السابق، ص ٢٩٩.

- ٣- المحلى بالآثار في شرح المجلى باختصار.
- ٤- التقريب في حد المنطق.
- ٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل.
- ٦- إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل.
- ٧- طوق الحمامة في الألفة والإلاف.
- ٨- الصادع والرادع على من كفر من أهل التأويل.
- ٩- شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله.
- ١٠- الجامع في حد صحيح الحديث.
- ١١- التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب والحديث.
- ١٢- الإمامة والخلافة في سير الخلفاء ومراتبهم.
- ١٣- الأخلاق والسير في مداواة النفوس.
- ١٤- كشف الالتباس ما بين الظاهر وأصحاب القياس.
- ١٥- الإيصال إلى فهم الحصال الجامعة لجمع شرائع الإسلام.
- ١٦- مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض.
- ١٧- الإجماع ومسائله على أبواب الفقه.
- ١٨- نقط العروس، جمع فيه كل غريبة ونادرة.
- ١٩- جمهرة الأنساب.
- ٢٠- حجة الوداع.

### تاسعا : وفاة الإمام ابن حزم الأندلسي :

توفي ابن حزم الأندلسي بقرية غرب الأندلس، على خليج البحر العظيم، سنة سبع وخمسين وأربعمائة، ويقال لها قرية متلجشم<sup>(١)</sup>، ببادية لبلة سلخ رمضان<sup>(٢)</sup>. مات مشرداً عن بلده ببادية لبلة بقرية له<sup>(٣)</sup> في عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة، فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهرًا<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء، ج١٢، ص٢٤٠.

(٢) كحالة : معجم المؤلفين، ج٢، ص٣٩٣.

(٣) المقرئ : نفح الطيب، ج٢، ص٧٨، انظر : ابن الفلاح الحنبلي : شذرات الذهب، ص٢٩٩.

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٢١١.



### المبحث الثالث

#### جوانب من فكر الإمام ابن حزم الأندلسي العام

##### المطلب الأول : أصول فكر الإمام ابن حزم الديني :

لم ير ابن حزم وجهاً للتقليد، إذ أنه مذهب الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وليس لأحد فيه أن يقلد أحد. ولا شك أن ذلك يتفق مع نزعة ابن حزم الذي يريد التعمق في الكتاب والسنة من غير أي حواجز من الفكر تقف دون ذلك. ثم أخذ بإجماع الصحابة لأنه لا يمكن أن يجمع الصحابة على أمر ليس له مستند من كتاب الله أو سنة نبيه الكريم وهو بهذا يدعو دعوة قوية إلى منع التقليد في أي ناحية من نواحي الدين، واعتبره بدعة يجب أن ترد<sup>(١)</sup>. ولما اختار ابن حزم الأندلسي المنهاج الظاهري فذلك لأنه يفتح باب الاجتهاد على مصراعيه، ولأنه المذهب الذي يستمد من الكتاب والسنة رأساً وقوته، ولأنه لا يتكلف ولا يتأول، بل يأخذ الألفاظ بظواهرها اللغوية، ولا يحاول تعليل الأحكام، ولا استخراج العلل بل يأخذ المعنى الظاهري، لذلك كان للظاهرية منهج خاص واتجاه معين نحو تلك المصادر العليا للإسلام يخالف منهاج غيرهم من العلماء المجتهدين<sup>(٢)</sup>. وقد صنف ابن حزم مصنفات كثيرة جليلة القدر، شريفة المقصد، في أصول الفقه وفروعه، على منهجه الذي يسلكه، ومذهبه الذي ينقله، وهو مذهب داؤود بن علي الأصفهاني الظاهري ومن قال بقوله من أهل الظاهر ونفاة القياس والتعليل<sup>(٣)</sup>. وقد كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه يقال لهم الحزمية<sup>(٤)</sup>.

إن المذهب الظاهري يأخذ بالنص الوارد في القرآن من غير اجتهاد أو رأي، مما أدى معه بابن حزم إلى أن يبطل بالقياس، وإلى أن يؤكد أن الشريعة مكتملة، وفيما نص على كل أمر من أمور العبادة، فالأمر المفروضة والمحرم والمندوبة واضحة بنصوصها في القرآن والسنة، فالمذهب الظاهري يتوخى في نهاية المطاف حصر الأحكام الشرعية في نطاق معين لتوسيع مجال الحرية في تعامل الناس فيما بينهم<sup>(٥)</sup>.

---

(١) أبو زهرة، محمد : ابن حزم حياته وعصره آراؤه وفقهه، د. ط، بيروت : الناشر دار الفكر ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م، ص ٢٨ (وسيشار إليه فيما بعد هكذا : أبو زهرة، ابن حزم).

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٣) المراكشي، عبدالواحد محمد علي محي الدين التميمي (ت ٦٤٧هـ) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد المريان، د. ط، القاهرة : الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، ص ٩٤. (وسيشار إليه فيما بعد هكذا : المراكشي : المعجب).

(٤) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) : الأحكام في أصول الأحكام، ط ١، القاهرة : الناشر دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٤٥هـ، ص ٩٣. (وسيشار إليه فيما بعد هكذا : ابن حزم : الأحكام في أصول الأحكام).

## المطلب الثاني : جوانب من فكر الإمام ابن حزم السياسي :

إن دراسة التراث الذي خلفه ابن حزم الأندلسي تعود إلى أن الفكر السياسي عنده قضية مسلم بها منهجه الظاهري في فهم النصوص، فهو مفكر، مثقف، عاش تجربة سياسية لها سلباتها التي أوجت إليه ببعض عناصر الفكر السياسي الفاسد، بالإضافة إلى أنه مؤرخ درس نظام الخلافة الإسلامية، واطلع على حسناته وعيوبه، ولم يترك من ذلك شيئاً إلا أحصاه عدداً. وله في ذلك رسالة تعد نفساً ضم الخطوط العامة للخلافة الإسلامية والخلفاء حتى عصره، سواء ما اتصل بإقامة هذا النظام وانتقاله من عصر إلى عصر، ومن خليفة إلى خليفة، بمعهد أو مغالبة، أو ما أصاب هذا النظام من تدهور وفساد. وقد ساعده في استيعاب القضايا السياسية أنه رائد في دراسة الملل والنحل، حيث أن الصلة وثيقة بين الملل والنحل وبين الفكر السياسي<sup>(١)</sup>، حتى أن كثيراً من المذاهب التي قامت على أساس فكره هي في حقيقتها سياسية<sup>(٢)</sup>.

لقد تناول ابن حزم كثيراً من قضايا الفكر السياسي من جوانبها التشريعية والتاريخية والكلامية ومن هذه القضايا :

### أولاً : رأي ابن حزم في الخلافة :

فصل ابن حزم القول في الخلافة، وناقش فيها الفرق المختلفة، ما بين الشيعة والخوارج بطوائفهم المختلفة، وكان كشأنه في كل ما يكتب يؤثر الإطناب على الإيجاز، وناقش أدلة مخالفيه دليلاً دليلاً، بلغت الصارمة العنيفة . ويمكن إجمال آرائه فيما يأتي<sup>(٣)</sup> :

١- الإمامة فرض لازم، لأن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام في الأحوال، والجنابات، وسائر الأمور، كما يقرر أن البلاد التي لا رئيس لها لا يقام حكم حق ولا جد. ومما قاله أنه لا يحل للمؤمنين أن يبيتوا ليلة ولبس في عنقهم بيعة لإمام، وأن الأمة الإسلامية واجب عليها الإنقياد لإمام عادل يقيم فيها أحكام الله ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها الرسول ﷺ<sup>(٤)</sup> :

(١) أبو زهرة : ابن حزم، ٢٣٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

(٤) ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط ١، بغداد : الناشر مكتبة المشنى ، د.ت، ج ١٠، ص ٣٠٨

(وسيشار إليه فيما بعد هكذا : ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل)

٢- أن يكون الإمام قرشياً، لقوله ﷺ : « الأئمة في قریش ».

٣-٤ - أن يكون الإمام رجلاً، وأن يكون مسلماً، لقوله تعالى : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً »<sup>(١)</sup>.

٥- أن يكون الإمام بالغاً مميزاً.

ثانياً : رأي ابن حزم في مذهب الخوارج :

يرى ابن حزم أن الخوارج طائفة يجب قتالهم، ولهذا فهو يعتبر قتال علي بن أبي طالب لهم فتحاً كفتوحات الخلفيتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، فقال : « وكفى به فتحاً، ولقد بقي فيه الناس من المخاوف والقتل والنهب ما لا يجهل وكيف وهو فتح قد أنذر به رسول الله ﷺ »<sup>(٢)</sup> . ويزعم ابن حزم رأيه في الخوارج بإيراد آراء فرقة من فرقهم، وهم الأزارقة أصحاب نافع حيث أنهم أباحوا دم الأطفال ممن لم يكن من فرقهم وقتل النساء . وبهذا تنبأ لهم رسول الله ﷺ بالمروق من الدنيا كما يرق السهم من الرمية<sup>(٣)</sup> .

المطلب الثالث : جوانب من فكر الإمام ابن حزم الاجتماعي :

كان ابن حزم إنساناً اجتماعياً يعمل على أن يحكم الواقع بالقيم ، لا أن تحكم القيم بالواقع، وهذه النظرة الواقعية الأخلاقية خلاصة معيار ابن حزم وتقديمه في الحقل الاجتماعي<sup>(٤)</sup> . لقد ظل المجتمع الأندلسي على حاله يجمع بين مختلف مظاهر الرفاهية من جهة، وتركيبه السكاني من جهة أخرى، إضافة إلى ما استتبعه من حرية العلاقات، وحرية فردية بخاصة حرية المرأة<sup>(٥)</sup> . وثمة مبدأ تتجلى فيه جميع نظرات ابن حزم الاجتماعية وهو مبدأ التوجه إلى الله تعالى، والذي يعني الزهد والرضا، وهو في ذلك يضرب المثل الأعلى بالرسول ﷺ<sup>(٦)</sup> ويعتبر ابن حزم أبرز فقيه اشتهر بدراسته الرائدة في فن الحب العفيف، ولم يظلم ابن حزم المرأة، أو يحملها المسؤولية الاجتماعية عند الخطأ وحدها، أو ينتظر منها فوق طاقتها، بل أنه يحدد

(١) سورة النساء، آية ١٤١.

(٢) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١٠٥، ص ٣٠٨.

(٣) أبو زهرة : ابن حزم، ص ٢٥٤.

(٤) عويس : ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ص ٣٠٢.

(٥) ابن حزم الأندلسي : طرق الحمامة، ص ١٤.

(٦) عويس : ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ص ٣٠٦.

معنى الصلاح لدى الرجل والمرأة معاً<sup>(١)</sup> . إن لابن حزم آراءً جديدة تضاف للفكر الاجتماعي، ومن هذه الآراء رأيه في حقوق العبيد، فقد قدم ابن حزم إجابة شافية للسؤال الذي يتردد كثيراً على ألسنة أعداء الإسلام حول أسباب عدم إعلان الإسلام لتحرير العبيد بطريقة مباشرة وعامة، حيث يرى ابن حزم أن حرية العبد هي حق له يستطيع أن يحصل عليه متى ما شاء إذا أحس القدرة على تحمل تكاليفها ومواجهة أعباء الحياة وحده، وبهذا يؤكد أن الإسلام قد حرر العبيد وبقي على العبيد أن يحرروا أنفسهم<sup>(٢)</sup> ويقول ابن حزم في كتاب المحلى: « من كان له مملوك مسلم أو مسلمة دعا، أو دعت، إلى الكتابة فرض على السيد الإجابة على ذلك، ويجبره السلطان على ذلك »<sup>(٣)</sup> ويستشهد ابن حزم في ذلك بقوله تعالى: « والذين يبتغون الكتاب مما ملكت إيمانكم فكاذبهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم »<sup>(٤)</sup> .

إن دعوة ابن حزم إلى تحرير العبيد كانت في وقت سادت فيه تجارة الرقيق في الأندلس، ومن الحقوق الإنسانية للعبيد والتي أكد عليها ابن حزم حال عبوديتهم: كسوتهم، وإطعامهم، وعدم تكليفهم بما لا يطيقونه، وعدم تسميتهم بأسماء قد تسيء إلى مشاعرهم<sup>(٥)</sup> .

وتعود منطلقات آراء ابن حزم إلى أربعة أصول هي<sup>(٦)</sup>:

١- أن الحياة الاجتماعية تعاون وتكافل، فعلى كل إنسان أن يكون عضواً عاملاً في مجتمعه. وقد نقل عن شيخه ابن الكتاني قوله: « ومن السمع القبيح بقاء الإنسان فارغاً في مدة إقامته في هذه الدار، تلك المدة فيها غيره أولى به، وأحسن منه، وقوله: « إن من العجب أن يبقى في هذا العالم إنسي دون معاونة لنوعه على مصلحة، أما يرى الحراث يحرق له، والطحان يطحن له، والنساج ينسج له، والخياط يخطط له، والجزار يجزله، وسائر الناس كل متول شغلاً له فيه مصلحة، أما يستحي أن يكون عيالاً على كل العالم لا يعين هو أيضاً بشيء من المصلحة ».

(١) المرجع السابق، ص ٣٠٧.

(٢) عويس: ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري، ص ٣٢٧.

(٣) ابن حزم الأندلسي علي بن أحمد بن سعيد: المحلى بالآثار في شرح المحلى باختصار، د. ط. القاهرة: الناشر مكتبة الجمهورية ١٩٧٢، ج ٩، ص ٢٢٢. (وبشار إليه فيما بعد هكذا: ابن حزم: المحلى بالآثار في شرح المحلى باختصار).

(٤) سورة النور: آية ٣٣.

(٥) ابن حزم: المحلى بالآثار في شرح المحلى باختصار، ص ٣٠٨.

(٦) الأفغاني، سعيد: التربية عند ابن حزم، أعلام التربية العربية الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الناشر مؤسسة آل البيت ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، ج ٢، ص ٢٧٥ (وبشار إليه فيما بعد هكذا: الأفغاني، التربية عند ابن حزم).

٢- أن الثقافة أساس المواطنة الصالحة، ويقصد بالثقافة سلوك المرء في حياته بما يقتضيه ما تعلمه من العلم، وهو ما اصطلح عليه في الثقافة الإسلامية بالعلم والعمل. والناس على هذا المبدأ عند ابن حزم أصنافاً أربعة :

أ/ من جمع الأمرين جميعاً فقد استوفى الفضيلتين معاً.

ب/ من علمه ولم يعمل به فقد أحسن في التعليم وأساء في ترك العمل به وهو خير ممن بعده.

ج/ لم يعلم العلم ولم يعمل به وهذا لا خير فيه.

د/ من ينه عن تعليم الخير ويصد عنه.

ويرى ابن حزم في هذا الموطن أن كلَّ أحد ينهى عن المنكر، حيث أنه لو لم ينه عن الشر إلا من ليس فيه شيء من الخير، ولا أمر بالخير إلا من استوعبه، لما نهى أحد عن شر ولا أمر أحد بخير بعد النبي ﷺ. ومن خالف ذلك أدى رأيه إلى هذا إفساد وسوء طبع وذم حال<sup>(١)</sup>.

٣- الصدور عن تجربة : يقول ابن حزم في كثير من أحكامه التي يصدرها في التربية والأخلاق والسياسية والاجتماع، وإن توصل في بعضها عن طريق النظر الطويل والمطالعة المستمدة، إلى تعرضه لمن هم موضوع النظرية ثم يعرض ما يتحصل لديه عن نظريته المستقلة، حتى يطمئن إلى ما يصدر من أحكام<sup>(٢)</sup>. ومن ذلك علاجه لكثير من أمراض النفس الإنسانية مثل العجب والحقد والحسد وغيرها.

---

(١) الأفغاني : التربية عند ابن حزم، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٩.